

إسهامات الشيخ باي بلعالم في علوم القرآن "الوجوه والنظائر أنموذجا

The Contributions of Sheikh Bey Belalem to the Sciences of the Qur'an "Faces and Isotopes as a Model

ابن عبد الرحمن أحمد

جامعة أحمد درايعة أدرار (الجزائر)، ibanabderrahman@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/03 تاريخ القبول: 2025/03/24 تاريخ النشر: 2025/03/30

ملخص:

يتناول هذا البحث التعريف بجهود الشيخ باي بلعالم في علوم القرآن عامة ودراسة مفصلة حول إسهاماته في علم الوجوه والنظائر؛ وذلك من خلال التعريف بكتابه ضياء المعالم، والوقوف على مصادره، وبيان منهجه، والكشف عن قيمته العلمية، ابتداءً بالبحث بمقدمة للتعريف بالموضوع، وبيان أهميته، ثم ترجمة موجزة للنظام والشارح، وتليه دراسة حول منهج الشيخ باي في الكتاب.

وأكد هذا البحث أهمية جهود علماء الجزائر في علوم القرآن، والمكانة العلمية التي يحظى بها الشيخ باي بلعالم، كما أكد أيضا على أن منهج الشيخ باي في كتابه "ضياء المعالم" في موضوع الوجوه والنظائر، قام على خطوتين أساسيتين هما: البحث الدلالي للفظ القرآنية، وكذا البحث السياقي. كلمات مفتاحية: الشيخ باي بلعالم؛ الوجوه والنظائر؛ ضياء المعالم؛ علوم القرآن؛ ألفية الغريب.

Abstract:

This research deals with introducing Sheikh Bey Belalem's efforts in the sciences of the Qur'an in general and a detailed study of his efforts in the science of faces and isotopes, by introducing his book Dia' al-Ma'alim, identifying its sources, and explaining His approach, and revealing its scientific value. The research began with an introduction to introduce the subject and explain its importance, then a brief translation by the narrator and commentator, followed by a study on Sheikh Bey's approach to the book. This research confirmed the importance of the efforts of Algerian scholars in the sciences of the Qur'an, and the scientific status that Sheikh Bey Belalem enjoys. He also emphasized that Sheikh Bay's approach in his book "Dia' Al-Ma'alim" on the subject of faces and counterparts was based on two basic steps: semantic research of the Qur'anic word, as well as contextual research).

Keywords: Sheikh Bay Bel-Alam; faces and counterparts; Dia' Al-Ma'alim; Quranic sciences.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه والتابعين.

أما بعد: فإن علم الوجوه والنظائر من أبرز علوم القرآن، الكاشفة عن معاني القرآن؛ وكان للسلف اهتمام بالغ به، ومما أثر في هذا الباب: لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة، (الترمذي، 1975، صفحة 27) لذلك اعتنى به علماء الأمة قديما وحديثا، كابن الجوزي، والدماغاني، والزركشي، والسيوطي، وتوافقت أقوالهم على ضرورة العلم للباحث في القرآن الكريم وتفسيره.

ومن الأعلام الجزائريين الذين حرصوا على نظم مفردات هذا العلم؛ تيسيرا للحفظ، (ابن العالم الزجلاوي التواتي) من خلال ألفيته في غريب القرآن؛ والتي تضمنت علم غريب القرآن وعلم الوجوه والنظائر، ولعله أول نظم يجمع العلمين معا.

وكان الفضل أيضا للعلامة الشيخ باي بلعالم، الذي ألف شرحا لهذه المنظومة، سماه: (ضياء المعالم شرح ألفية الغريب لابن العالم) حيث شمل الشرح باب الغريب وباب الوجوه والنظائر؛ والدراسة هذه تتعلق بالباب الثاني من الكتاب، وتظهر أهمية هذه الدراسة في كونها تتعلق بعلم يبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم.

وتهدف الدراسة: إبراز الشخصيات العلمية الجزائرية في ميدان الدراسات القرآنية، والتعريف بهم، والكشف عن جهودهم، بغية ربط الجيل المعاصر بأسلافه.

كما تهدف رصد الاسهامات العلمية الجزائرية، والتعريف بها، والكشف عن مزاياها وبيان مناهجها، وقيمتها العلمية، ومكانتها.

وإشكال البحث هو: ما منهج الشيخ باي في شرح باب الوجوه والنظائر؟ وما الأسس التي قام عليها شرحه؟ وما خطواته؟

ويلحق بذلك تساؤلات فرعية: من هو الشيخ باي بلعالم؟ وما علاقة علم الوجوه والنظائر بالتفسير؟ وللإجابة عن التساؤلات اعتمدت المنهج الوصفي، والتحليلي في الدراسة.

كما تم إنجاز هذا البحث وفق خطة مرتبة على النحو التالي: مقدمة تضمنت التعريف بالموضوع، وأهميته، وأهدافه، وكذا إشكاليته، ومنهجه، ثم خطته.

ويلي المقدمة مبحثان، وخاتمة؛ تضمن المبحث الأول: التعريف بالناظم والشارح، وتضمن المبحث الثاني منهج الشيخ باي في شرح باب الوجوه والنظائر.

التعريف بالمؤلفين وكتابيهما

التعريف بناظم ألفية غريب القرآن وبألفيته:

عرضت في القسم الأول من هذا المطلب ترجمة مختصرة لأحد أعلام الجزائر، وهو (ابن العالم الزجلوي) ناظم الألفية في الغريب القرآني؛ اسمه، ونشأته، وشيوخه، ثم مؤلفاته، ووفاته، وفي قسمه الثاني نعرف بألفيته المتميزة في علم غريب القرآن والأشباه والنظائر؛ موضوعها، وأقسامها، وعدد أبياتها، وأهم ميزاتها، وطبعتها، والشروح عليها.

أولاً: ترجمة الناظم: هو أبو عبد الله محمد بن محمد العالم الزجلوي منشئ الأنصاري نسبة ولد في قصر زاجلو، أحد القصور التابعة لبلدية زاوية كنتة من ولاية أدرار، في أواخر منتصف القرن الثاني عشر الهجري، نشأ وتعلم على يد أبيه أحمد، ثم انتقل إلى قصر تنلان وتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التلاني. وبعدها رجع إلى مسقط رأسه وأسس مدرسته المشهورة التي تخرج منها شيوخ أجلاء منهم: ابنه الحسن، وأخيه عبد الرحمان، وعبد الله بن أبي مدين التمنيطي، وأبي العباس أحمد زروق الجعفري، وغيرهم.

توفي في بلدته زاجلو يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة (1212هـ ، 1798م).

من آثاره مخطوط النوازل في الفقه. وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها، وشرح مختصر خليل، وكتاب المباشر على ابن عاشر. بالإضافة إلى قصائد وتقييدات مختلفة. (ألفية الغريب، (2019)، صفحة: 09، 10)

ثانياً: ألفية الزجلوي في غريب القرآن: هي نظم على بحر الرجز، يربو عن ألف بيت، موضوعها جمع اللفظ الغريب في القرآن، وبيان معناه بإيجاز.

ومعنى اللفظ الغريب في القرآن: الكلمات القرآنية التي فيها غموض، ويلتبس معناها، وتحتاج للإيضاح والبيان. طبع النظم في مطبوعات الخزنة الجزائرية للتراث، بتحقيق ودراسة عبد الله بن عز الدين مسكين، كما طبعته أيضاً دار المعتز للنشر والتوزيع بالجزائر سنة (2016)، بتحقيق

د. عبد القادر بقادر، ثم طبع حديثاً من دار الصميقي بالسعودية، بتحقيق مهند بن محمد بن علي آل معثم، حققه على ثلاثة من النسخ، وقدم له بمقدمة هامة، شملت ترجمة وافية للتعريف بالناظم، وعن كتابه ومزايده، كما جعل له فهرس، منها فهرس لفظي، وفهرس على حسب الجذور، فهذه هي أجود طبعات هذا الكتاب.

قدم الناظم للألفية بمقدمة عرف فيها الموضوع، ثم أشار إلى أهميته، وذكر سبب التأليف، ومصادره، ثم تناول موضوع الغريب القرآني على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خصه للغريب المكرر في سائر القرآن، ورتبه على حسب الحروف الهجائية بداية من الألف وانتهاءً بالياء، وعدد أبيات هذا القسم (300 بيت).

القسم الثاني: تناول فيه مفردات الغريب بحسب سور القرآن، وعدد أبيات هذا القسم: (351 بيت)

القسم الثالث: وهو القسم الأخير، تناول فيه الوجوه والنظائر، وعدد أبيات هذا القسم: (303 بيت).

ولا يفوتنا أن نذكر أن الناظم - رحمه الله - مكث في تأليفه لهذه الألفية حوالي عشرة أعوام كما نقل عنه الشيخ باي في شرحه.

وقد نالت هذه الألفية الشهرة في الأوساط العلمية المتخصصة؛ لما تميزت به من حسن النظم وبديع التأليف، أشاد بها الشيخ باي بلعالم ووصفها بالتميز والإبداع رائع، وتحدث عن مكانتها العلمية. (محمد باي بلعالم، 1995، الصفحة: 8). وقد اصطفاها بعض أهل العلم كمصدر مهم لمن أراد ضبط وإتقان علم الغريب، ونالت المنظومة هذه المكانة لميزتين أساسيتين: الأولى: لأنها جمعت إلى جانب اللفظ الغريب، ألفاظ الوجوه والنظائر، ولعلها الوحيدة في هذا الشأن.

الثانية: أنها منظومة على شكلة المتون العلمية، ومعلوم أن النظم يختلف عن المنشور من جهة سهولة الحفظ، فمن حظي بحفظها وفهمها فقد نال حظاً وافراً من العلم بكتاب الله.

ترجمة شارح ألفية الغريب (باي بلعالم) والتعريف بشرحه (ضياء المعالم):

عرضت في هذا المطلب ترجمة مختصرة للمفسر الفقيه اللغوي (محمد باي بلعالم)؛ اسمه، ونشأته، وشيوخه، ثم مؤلفاته، ووفاته، كما نعرف بجهوده في التفسير وعلوم القرآن من خلال كتابه (ضياء المعالم، شرح ألفية الغريب).

أولاً: ترجمة الشارح: هو الشيخ باي بلعالم بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري الشهير بالشيخ باي، ولد سنة 1930 م بمنطقة تسمى: ساهل، تابعة إدارياً لبلدية أقبلي، التي تقع بدائرة أولف، إحدى دوائر ولاية أدرار.

نشأ وترعرع في أسرة تميزت بالعلم، غرست فيه القيم العالية، مكنته من التميز والتفوق، فكانت المرحلة التأسيسية التي حصل فيها حفظ القرآن ومتون العربية بقرية ساهل.

ثم واصل دراسته بزاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي، بسالي، بضع سنوات، درس فيها الفقه المالكي وأصوله، والنحو، والفرائض، والحديث، والتفسير، وخلال مرحلة دراسته تحصل على عدد من الإجازات. (محمد باي بلعالم، 2005، الصفحة: ج 2، 377)

ثم رجع إلى مدينة أولف التي أسس بها مدرسة للعلوم الشرعية قبل استقلال الجزائر، كانت ولا تزال تخرج حفظة القرآن، وتدرس مختلف العلوم الشرعية واللغوية، واستمرت في عملها رغم تضيق الاستعمار الفرنسي.

وبعد أن استقلت الجزائر، عين الشيخ إماماً وخطيباً بالمسجد التابع لمدرسته المذكورة بصفة رسمية، تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف وذلك سنة 1964.

كما تفيد المصادر أن الشيخ باي كان له رحلات علمية إلى مختلف البلدان العربية والإسلامية خاصة البلاد المجاورة، ولا يتسع المقام لذكر كل من تتلمذ على الشيخ وجميع مصنفاته وأعماله العلمية والدعوية، كل ذلك مثبت في المصادر المترجمة للشيخ، ومنها كتابه الرحلة العلمية، وسنكتفي

بذكر بعض مصنفاته التي تزيد عن (24) مصنف، في التفسير، والحديث، والأصول، والفقه، واللغة، والتراجم، والتاريخ....

1. ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن عالم، في غريب القرآن.
2. المفتاح النوراني شرح فيه نظم الشيخ الطاهر التليلي السوفي، في غريب القرآن.
3. كائز الوصول على منظومة العمريطي، في علم الأصول.
4. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات.

وفاته: توفي رحمه الله يوم الأحد 23 ربيع الثاني 1430 هـ الموافق: 19 أبريل 2009 م. (محمد باي بلعالم، 2005، الصفحة: ج2، 378)

ثانيا: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: خدم الشيخ باي - رحمه الله - مكتبة التفسير وعلوم القرآن بكتابين متميزين، لا يستغني عنهما باحث في هذا التخصص.

شرح في الأول نظم ألفية غريب القرآن للزجلوي، والذي تضمن أيضا علم الوجوه والنظائر، وهو الذي تعلقت به هذه الدراسة. وسماه ضياء المعالم بشرح ألفية ابن العالم، يقع الكتاب في مجلدين. بلغ عدد صفحاته: (212 صفحة)، من الحجم المتوسط، طبعته دار عمار قربي، باتنة، الجزائر. دون ذكر سنة الطبع.

شرح فيه أرجوزة الألفية في غريب القرآن، ووجوهه ونظائره، لابن العالم، وهو شرح مختصر مبسط كما وصفه مؤلفه في مقدمة الكتاب.

وشرح في الكتاب الثاني نظم الغريب المفرد في القرآن للشيخ الطاهر التليلي، السوفي، الذي قدّم له واعتنى به ونشره الدكتور: سعد الله، المؤرخ الجزائري المعروف. وسمى الشيخ باي شرحه هذا: المفتاح النوراني.

والدراسة هذه اقتصرت على الكتاب الأول، وهو: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، وتناولت المبحث الأخير منه، المتعلق بالوجوه والنظائر.

جهود الشيخ باي بلعالم في علم الوجوه والنظائر علم الوجوه والنظائر أهميته وعلاقته بالتفسير:

أولاً: تعريف الوجوه والنظائر: الوجوه في اللغة: جمع وجه، والوجه مستقبل لكل شيء ومنه وجه الرجل وغيره، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده، (ابن فارس، 1979، ج4، الصفحة: 917).

معنى النظائر في اللغة: جمع نظير وهو المثل والشبيه في كل شيء يقال نظيرك أي مثلك وشبيهك، في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال، (ابن منظور، 1414 هـ، ج5، 219).
أما في الاصطلاح: قال الدكتور حاتم الضامن، محقق كتاب الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان في مقدمة تحقيقه: معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في موضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه إذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، (مقاتل بن سليمان، 2011، الصفحة: 3).

فالوجوه: المعاني المختلفة للفظ القرآنية في مواضعها من القرآن، والنظائر: المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفق فيها معنى اللفظ. وهذا معنى قول ابن الجوزي عن الوجوه والنظائر: أن ترد الكلمة القرآنية في سياقات متعددة من القرآن الكريم على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، (ابن الجوزي، 1984، الصفحة: 83).

وحتى يتضح التعريف نسوق هذا المثال: نتأمل لفظة الكتاب ومعانيها في الآيات التالية: قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وقوله: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)، وقوله: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله)، وقوله: (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب)، وقوله: (كل أمة تدعى إلى كتابها)، وقوله: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين).

فإذا تأملنا لفظ "كتاب" في هذه الآيات القرآنية، سنجد اختلافا بين تلك المواضع، كما نجد لفظ "الكتاب" في كل موضع من تلك المواضع يؤدي معنى آخر.

معنى الكتاب كما في كتب التفسير، في الآية الأولى: اللوح المحفوظ، وفي الثانية: القرآن الكريم، وفي الثالثة: العدة، وفي الرابعة: اليهود والنصارى، وفي الخامسة: الحساب، وفي السادسة: سجل أعمالهم؛ وتسمى هذه المعاني: وجوه كلمة الكتاب في القرآن.

أما جمع كم مرة جاءت الكلمة بمعنى اللوح المحفوظ مثلاً، فتسمى: النظائر، والأشباه، وعليه: فالوجوه: هي المعاني المختلفة للفظ الواحد، والنظائر: الآيات أو الألفاظ التي يتفق معناها في الوجه الواحد. وهذا المعنى المذكور للوجوه والنظائر هو اختيار أكثر المتأخرين.

وقد أُلّف في هذا العلم كثير من الفضلاء، أذكر منهم: مقاتل بن سليمان (ت: 150) وهارون بن موسى (ت: 170) ويحيى بن سلام البصري (ت: 200) والدامغاني (ت: 478) وابن الجوزي (ت: 597) وغيرهم.

ثانياً: أهمية علم الوجوه والنظائر وعلاقته بالتفسير: إن معرفة علم الوجوه والنظائر خطوة ضرورية لمن يروم تفسير كتاب الله العزيز، وكذا الوقوف على دقائق العربية، التي هي مصدر أساسي لهذا العلم؛ لذلك قرر علماء أصول التفسير أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة العربية ودقائقها، تفسير شيء من كلام الله تعالى؛ لأن الله تعالى أنزله قرآناً عربياً.

كما أن علم الوجوه والنظائر هو الركن الأساسي في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن وبيان مصدره الرباني، قال السيوطي: إذ الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر، (السيوطي، 1988، ص514). كما كشف القاضي الباقلاني عن أهمية هذا العلم في الكشف عن إعجاز ألفاظ القرآن وحروفه، وأن كل كلمة لا يمكن أن تعوضها كلمة أخرى، (الباقلاني، 1997، الصفحة: 148)، وقد ذكر كثير من أئمة البيان، أمثلة تكشف لنا أهمية هذا العلم في التفسير، وتحدثوا عن دوره في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن، والمقام لا يتسع لبسط أقوالهم.

منهج الشيخ باي في بيان الوجوه والنظائر:

الدراسة هذه تتعلق بالقسم الثالث، من شرح الشيخ باي، وهو الذي تناول فيه المصنف شرح نظم الوجوه والنظائر، بداية من ص69، من الجزء الثاني من الكتاب، وقد رتب الناظم ألفاظ

هذا القسم على حسب حروف المعجم، بداية من حرف الألف وانتهاء بحرف الياء التحتية، وسيكون الحديث عن منهج المؤلف في هذا القسم من الكتاب، من خلال النقاط التالية:

الأولى: مصادره ومنهجه في النقل منها: ذكر الشيخ باي مصادره في آخر شرحه: (ضياء

المعالم على ألفية الغريب لابن العالم)، وهي: في التفسير وعلوم القرآن والحديث.

أولاً: مصادره في التفسير وهي: تفسير الجلالين، حاشية الجمل، تفسير الكشاف للزمخشري، حاشية الصاوي على الجلالين، صفوة البيان لحسين مخلوف، رد الأذهان إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، زاد المسير لابن الجوزي، تفسير ابن كثير، تفسير البيضاوي، فتح البيان صديق حسن خان، روح البيان لإسماعيل حقي، نزهة القلوب للعزيزي، تفسير المراغي، تفسير النسفي، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

ثانياً مصادره في علوم القرآن: - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي.

ثالثاً مصادره في الحديث: الكتب الستة، الموطأ للإمام مالك.

رابعاً مصادره في اللغة: فهارس القرآن للحمصي، مختصر السمين في إعراب القرآن، عبد

الرحمان بن يعمر، القاموس المحيط للفيروز ابادي، مختار الصحاح للرازي، الكليات لأبي البقاء.

ونلاحظ تنوع مصادره في التفسير بين القديم والمعاصر، وبين مختصر وموسع، متعددة

اتباعها، ومناهجها، وهي في معظمها تمثل مدرسة التفسير بالرأي.

أما عن منهج محمد باي بلعالم في النقل من تلك المصادر، فكان غالباً ما ينقل بالنص، ويشير إلى تلك المصادر عند نقله منها، وعادته أنه يرمز لها بمختصرات، وتمثل لهذا المنهج بما جاء في ص76: قوله: (قال في قط ويعني بالمحصات هنا الأبيكار الحرائر لأن الثيب عليها الرجم والرجم لا يتبعض، وإنما قيل للبكر المحصنة وإن لم تكن متزوجة)، هذا الكلام نقله من تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ينظر: (القرطبي، 1964، ج2، 378)، واكتفي بالإشارة له بقوله: (قال في قط) وهو يرمز لتفسير القرطبي بحرفي: قط، وجرى على منهج الترميز لكثير ممن ينقل عنهم في شرحه كثيراً، وهي طريقة يستعملها كثير من المؤلفين قصداً للاختصار، لكن ما يؤخذ على الشيخ رحمه الله أنه لم يبه على هذا المنهج في المقدمة كما جرت عادة المصنفين.

كما أن الشيخ - رحمه الله - ينقل بالتصرف فيما ينقله بالاختصار غالباً، وأحياناً يورد النص

المنقول كما هو.

أما طريقته في العزو إلى مصادره، فغالبا تكون بنسبة المنقول إلى المؤلف، دون ذكر الكتاب، كأن يقول مثلا: "كما في الطيبي" أو "كما في السمين"، وأحيانا تكون إحالته مبهمة، لا يحدد مصدرا بعينه، كقوله: كما في بعض شراح الرسالة، ينظر: (باي بلعام، 1995، الصفحة: 80) وهي منهجية معقدة ومتعبة للباحث، خاصة إن كان للمؤلف أكثر من مصنف واحد، ومن الأمثلة: الصفحة: 73، من الكتاب، في سياق حديثه عن معاني كلمة: "أدنى" من قوله تعالى: (أتستبدلون الذي هو أدنى) 61 سورة البقرة، قال: (بمعنى أخس وله معان أخرى قيل القرب وقيل الدون أو الردى كما في السمين).

فقوله: كما في السمين، يريد كما في تفسير السمين الحلبي، وللسمين الحلبي كما هو معروف لدى أصحاب التخصص، تفسيرين: (عمدة الحفاظ، وكذا الدر المصون). فأيهما أراد بقوله كما في السمين؟! فلا بد من تحديد المصدر، وإذ أقول هذا، فإني لا أحاكم الشيخ - رحمه الله - إلى المنهجية العلمية الحديثة، بقدر ما أدعو الباحثين لتحقيق هذا الجهد القيم، وتخرجه وفق الأصول المنهجية والشكلية التي تليق به.

الثانية: طريقته في الشرح والبيان : أورد الشيخ باي التعريف الاصطلاحي للوجوه والنظائر نقلا عن السيوطي في الاتقان، وهو التعريف الذي اختاره الزركشي في البرهان، (الزركشي، 1972، الصفحة: 193)، وهو يختلف عن التعريف الذي اختاره الإمام ابن الجوزي (ابن الجوزي، 1984، الصفحة: 83) ، وعمليا نجد أن الناظم وتبعه الشارح، سار في نظمه على الاصطلاح الذي اختاره ابن الجوزي، فبأبي الناظم باللفظ القرآني المتكرر في مواضع من القرآن، وهو المراد بالنظائر، أي التشابه في اللفظ، ثم يردفه بوجوهه، وهي: معاني اللفظ المتكرر، في كل موضع، فالوجه اسم للمعنى، كما أن النظر اسم للفظ، مثاله: قال الناظم:

حميمٌ ماءٌ بالغُ الحرِّ القريبِ في نسبٍ وذو اختصاصٍ لا يُربِ

يشير في هذا البيت إلى وجوه لفظ: "حميم"، وهي ثلاثة كما ذكر في هذا البيت: أولها: ماء بالغ الحر، ثانيها: القريب في النسب، ثالثها: ذو اختصاص.

والشارح سار على هذا الاصطلاح، يذكر تلك الوجوه ويمثل لمعنى كل وجه من القرآن، بذكر الآية محل الشاهد، مع اسم السورة، ورقم الآية (باي بلعام، 1995، الصفحة: 104).

الناظم يورد اللفظ القرآني الذي له أكثر من وجه في المعنى، ثم يتبعه بألفاظ يعبر بها عن معانيه وهي الوجوه، كقوله في بداية الباب: واحدُ آية الكتابِ آيةٌ وعبرةٌ علامةٌ كالراية ذكر في هذا البيت وجوه لفظ "آية" في القرآن الكريم. والشارح يمثل لكل وجه من تلك الوجوه بما جاء في القرآن الكريم، وهنا نجد لدى الشيخ - رحمه الله - الدقة في استحضار الشواهد القرآنية المتعددة، للتمثيل للمعاني التي يوردها الناظم كوجوه للفظ في نظمه: كما في شرحه لهذا البيت، فقال: مثال واحد آيات الكتاب، قوله تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا) الآية 39، من الأنفال، ثم أردفه بالتمثيل للوجه الثاني للآية وهو "العبرة"، بقوله تعالى: (قد كان لكم ءاية) الآية 13، من سورة آل عمران، موضحا لمعنى الآية هنا، بقوله: أي عبرة ودليل على نصر الله تعالى للحق، (باي بلعالم، 1995، ج2، الصفحة: 72).

وهكذا، ويندر تعرضه لإيراد نظائر وأشباه تلك الوجوه على سبيل الاستقصاء، بل يكتفي بموضع أو موضعين. ثم يمثل للوجه الثالث، وهو "العلامة" بقوله: والعلامة وردت في قوله تعالى: (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه) أي علامة كونه ملكا من الآية 248 من البقرة. وبعد أن نقل كلاما للسيوطي في هذا المعنى، مثل للوجه الأخير للفظ "الآية" كما في النظم، وهو: "الراية" بقوله: كالراية كما في قوله تعالى: (أتبينون بكل ربيع آية) أي راية، أو بناء عاليا شامخا، كما في الآية: 128، من سورة الشعراء، (محمد باي بلعالم، 1995 الصفحة: ج2، 72). وهنا ينتهي الحديث عن وجوه لفظ: "الآية"، ثم ينتقل للبيت الموالي من النظم مع لفظ آخر.

الثالثة: منهجه في ذكر وجوه الكلمة وبيان معانيها:

يذكر الشيخ محمد باي أكثر وجوه الكلمة وأشهرها تبعا للناظم، وأحيانا يوردها بما يدل على الحصر والاستقصاء، كتحديددها برقم معين، كقوله مثلا: له معان أربعة، ومن ذلك مثلا حصره معان الاحسان في ثمانية أوجه، والإحصان في ستة أوجه، وفي الغالب لا يحدددها بما يفيد الحصر والاستقراء، فيشرع في التمثيل والاستشهاد لما يذكره الناظم من الوجوه، من دون ذكر عدد الأوجه في الكلمة، ونمثل لذلك بما جاء عند بيانه لأوجه "الأمة" فذكر أربعة أوجه لها وهي: الجماعة، والدين، والحين، والإمام.

ومثل لكل وجه من الوجوه بشاهد من القرآن، فالأمة بمعنى الجماعة، مثل الشيخ بقوله تعالى: (فلما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) القصص الآية: 23، والأمة بمعنى

الدين، مثل بقوله تعالى: (إنا وجدنا ءاباءنا على أمة) الزخرف الآية: 23، والأمة بمعنى الحين، مثل بقوله تعالى: (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) هود، الآية 8، والأمة بمعنى الإمام، مثل بقوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة) النحل الآية: 120، في حين نجد وجوها أخرى لهذه اللفظة القرآنية لم يذكرها الناظم ولا الشارح، وقد ذكرها بعض المؤلفين في الوجوه والنظائر، منها:

- قوم: مثل قوله تعالى: (أن تكون أمة هي أربى من أمة) سورة النحل الآية: 92.

- الأمم: أو الخالية: مثل قوله تعالى: (ما تسبق من أمة أجلها) الحجر، الآية: 5.

- أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة: كقوله تعالى: (كنتم خير أمة) آل عمران، الآية: 110.

- خلق: مثل قوله تعالى: (إلا أمة أمثالكم) الأنعام، الآية: 38.

- الكفار: مثل قوله تعالى: (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة) الرعد، الآية: 30، ذكر هذه الأوجه كثير من ألف في هذا العلم؛ كالدماغاني، وابن العماد، وغيرهم من أهل التفسير، ينظر على سبيل المثال: (ابن العماد، ص 86)

والأمثلة على هذا المنهج كثيرة، ولا يتسع للمقام لذكرها، ونعلم من هذا أن ذكر الأوجه عند الشيخ باي، على سبيل الأكثرية؛ لا على سبيل الحصر والاستقصاء.

الرابعة: مزايا الكتاب وقيمته العلمية: فقد سلك الشيخ في كتابه سبيل الاختصار؛ إلا أنه ضمنه الفوائد واللطائف المتنوعة، في الفقه، والبيان، والتفسير، والقراءات، والنحو، والصرف، في مناسبات عدة، ومنها على سبيل المثال: في الفقه: ما جاء في ص: 76، في معرض الحديث عن معاني الإحصان: في قوله تعالى: "والذين يرمون المحصنات" الآية 4 من سورة النور، قال: (أي يقذفون النساء العفيفات بالفاحشة، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم اتفاقاً). والشيخ - رحمه الله - فقيها متمرسا، لهذا نجده لا تغيب عنه هذه المسائل، حتى وهو يؤلف في مجال اللغة.

في اللغة وكلام العرب: الشواهد من أشعار العرب حاضرة في تأليف الشيخ، يستشهد بها لمعاني بعض الوجوه القرآنية كما في معاني الوحي، فقد يأتي في القرآن بمعنى الكتابة كما في قوله تعالى: (فأوحى إليهم) الآية: 11، سورة مريم، بمعنى كتب لهم، وأورد الشيخ شاهدا من أشعار العرب على هذا المعنى، وهو قول ذي الرمة:

سوى الأربع الدهم اللواتي كأنها بقية وحي في بطون الصحائف.

في الاشتقاق: ومثل له بما جاء عند بيانه لقول الناظم: يضع ثلاثة لتسعة حري...، قال: واشتقاقه من بضعت الشيء أي قطعته فهو قطعة من العدد.

والاشتقاق واقع في العربية، كما ذكر العلماء؛ خلافا للترادف الذي أنكر وقوعه كثير من أئمة اللغة، لكن الشيخ باي ممن يرى وقوعه لا في العربية فحسب، بل يرى وقوعه في القرآن أيضا، ومثل له في مواضع عدة من كتابه، كقوله: فالحظ والكفل والخلاق، ألفاظ مترادفة، (باي بلعالم، 1995، ج1، 68)، وإذا كانت الباحثة: خير الله فاطمة تؤكد توسع الشيخ باي بلعالم بالقول بالترادف في القرآن الكريم بقولها: "وفي كتابه ضياء المعالم استعمل الشيخ بلعالم ظاهرة الترادف استعمالا مكثفا لشرح وتوضيح المفردات الغريبة." وتوافقه في القول بوقوع الترادف في القرآن، وأبعد من ذلك فهي تجعل الترادف من مظاهر الثروة اللغوية، في مقالها المنشور بمجلة الحقيقة، تحت عنوان: (من ألفاظ الغريب القرآني في ضياء المعالم للشيخ باي بلعالم بين المعجم والسياق، 2018، ص269)؛ فإن القول بعدم وقوع الترادف في القرآن، إلى الحق أقرب وهو مذهب الجمهور، وبه يقول المحققون اللغويون المعاصرون كالدكتور فاضل السامرائي، والمتقدمون كالزركشي وابن تيمية، فهؤلاء وغيرهم ينكرون وقوع الترادف في القرآن على التحقيق.

يقول ابن تيمية: فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر، وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا هو سبب إعجاز القرآن. (ابن تيمية، 1980، الصفحة: 17)، وقد نبه الزركشي - رحمه الله - في كتابه: البرهان في علوم القرآن، على هذا الأمر فقال: فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد. (الزركشي، 1972، 78/4، 79).

في القراءات والتوجيه: كان الشيخ رحمه الله يذكر أحيانا القراءات المتعددة في اللفظة القرآنية التي يشير إليها الناظم، ويبين معانيها ويوجه القراءتين، ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في ص: 77، عند بيانه لمعنى قول الناظم: "قيل وإيذان وتاذين آذان تفسرها الإعلام"، قال: من قوله تعالى: "فأذنوا بحرب من الله ورسوله" الآية 179 من البقرة، أي فكونوا على علم، من أذن بالشيء بإذن إذا علم، وقرئ: "فأذنوا" أذنه الأمر، وأذنه به أعلمه إياه، أي: أعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله ورسوله)، من دون أن يعزو القراءة لأصحابها، ولا يختلف توجيهه عما ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير، (التحرير والتنوير، 1984، الصفحة: ج3، 35).

ومما يؤخذ على الشيخ - رحمه الله - أنه نقل بعض الأقوال الضعيفة دون التنبيه عليها: من ذلك ما جاء في تفسيره للنعجة المذكورة في سورة (ص) في سياق فتنة داود عليه السلام، بالمرأة، وهو تفسير يستند إلى رواية إسرائيلية باطلة منكرة تناقلها بعض أهل التفسير، لكن المحققون من الأئمة قديما وحديثا ذهبوا إلى بطلانها، منهم على سبيل المثال: (الرازي، 1420هـ، ص382)، و(عبد الكريم الخطيب، 1970، ص1074)، وأكد الخطيب أن النعجة في لسان العرب لا تطلق على المرأة. وتفسير القرآن بالروايات الإسرائيلية إنما هو خطأ وقع فيه بعض من فسر القرآن، كما أكد بعض المحققين، وعندما صنف الدكتور صلاح الخالدي - رحمه الله - الأخطاء التي وقع فيها بعض المفسرين، عدّ من جملتها التساهل في رواية الإسرائيليات، والروايات غير الثابتة التي تتعلق بأحداث القصص القرآني، وسير الأنبياء والمرسلين، والإسرائيليات غير صحيحة، واليهود متهمون غير مؤمنين على الأحداث السابقة، (صلاح عبد الفتاح الخالدي، 2012، الصفحة: 135).

خاتمة:

وختاما وبعد هذه الرحلة الممتعة مع كتاب ضياء المعالم، فقد توصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات أخصها في النقاط التالية:

1. الشيخ باي بلعالم عالم جزائري معاصر خدم علوم القرآن والتفسير، من خلال كتابين في علم الغريب والوجوه والنظائر، شرح في الأول نظم ألفية الغريب لابن العالم التواتي الجزائري، وسماه ضياء المعالم، وشرح في الثاني نظم الغريب المفرد، للطاهر التليلي الغماري السوفي الجزائري، وسماه المفتاح النوراني.
2. علم الوجوه والنظائر من علوم القرآن التي هي من العلوم الضرورية للمفسر، لأنها تكشف عن وجوه اللفظ القرآني وتسهم في بيان إعجازه.
3. كتاب ضياء المعالم شرح مبسط غير محل، لغريب القرآن، والوجوه والنظائر، لا يستغني عنه الباحث في علوم القرآن الكريم.

4. التزم الشيخ باي في شرحه لأبواب الألفية، بعرض الشواهد القرآنية للألفاظ ذات الوجوه والنظائر، وعزو كل آية لسورتها وتحديد رقمها في المتن.
5. سلك الشيخ باي منهج الاختصار، والإيجاز في بيانه لوجوه اللفظة القرآنية، وتفسيره للأمثلة والشواهد القرآنية.
6. ضمن المؤلف كتابه فوائد وأحكاما، ومسائل في شتى الفنون، كالقراءات والفقه واللغة.
7. الكتاب تعتريه نقائص شكلية وفنية، وهو من حيث الشكل إلى المخطوط أقرب منه إلى الكتاب المطبوع.

التوصيات: توصي الدراسة الباحثين في التخصص العمل على تحقيق الكتاب تحقيقا علميا، وإعادة طبع الكتاب طباعة تليق بالعلم الذي تضمنه، لأن هذه الطبعة لا تختلف عن المخطوط.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. السيوطي، عبد الرحمان، (1987)، الإتيقان في علوم القرآن، دمشق، دار ابن كثير.
2. الزجلوي، أبو عبد الله محمد ابن العالم، (2019)، أرجوزة في غريب القرآن والوجوه والنظائر القرآنية، ألفية الغريب، الجزائر، مطبوعات الخزانة الجزائرية للتراث.
3. الباقلاني، أبو بكر، (1997)، إعجاز القرآن، مصر، ن: دار المعارف، ط: الخامسة.
4. الزركشي، بدر الدين، (1972)، البرهان في علوم القرآن، مصر. إبراهيم، دار عيسى الباي الحلبي، ط2.
5. حاج أحمد، الصديق، (2003)، التاريخ الثقافي لإقليم توات، الجزائر - أدرار، منشورات مديرية الثقافة، ط1.
6. ابن عاشور، الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
7. القرطبي، أبو عبد الله محمد، (1964)، الجامع لأحكام القرآن، مصر، ن: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية.
8. باي بلعالم، محمد، (2005)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزائر، مطبعة دار هومة.

9. باي بلعالم، محمد، (1995)، ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، الجزائر، مطابع دار عمار قرني باتنة.
 10. سيدي عمر، عبد العزيز، (2002) قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الجزائر، دار النشر: دار هومة.
 11. ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، لبنان، ن: دار صادر، بيروت.
 12. ابن فارس، أحمد أبو الحسين، (1979)، مجمل اللغة، لبنان، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت.
 13. السيوطي، عبد الرحمان، (1988)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، لبنان. ن: دار الكتب العلمية - بيروت.
 14. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1984)، مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، الكويت، ن: دار الدعوة.
 15. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، (1984)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لبنان، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت.
 16. الحكيم الترمذي، (1975)، نوادر الأصول، لبنان، دار صادر، بيروت.
 17. مقاتل ابن سليمان، (2011)، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، السعودية، ن مكتبة الرشد الرياض السعودية، ط:2.
 18. الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، لبنان، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة.
 19. الخطيب، عبد الكريم يونس، (بدون) التفسير القرآني للقرآن، مصر، ن: دار الفكر العربي - القاهرة.
 20. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1012)، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، سوريا، ن: دار القلم دمشق.
 21. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1980)، مقدمة في أصول التفسير، لبنان، ن: دار مكتبة الحياة، بيروت.
- المقالات:
1. خير الله، فاطمة، (2018)، من ألفاظ الغريب القرآني في ضياء المعالم للشيخ باي بلعالم بين المعجم والسياق، مجلة الحقيقة، مجلد: 17 عدد: 02، ص269.



2. الشربجي، محمد يوسف، (2003)، علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وأثره في التفسير والكشف عن إعجاز القرآن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد: 19، عدد: 2، ص 455

• مواقع الانترنت:

المكتبة الجزائرية الشاملة (2017)، تراجع أعلام الجزائر، <https://shamela-dz.net/?p=448>